بين مصر والاتحاد السوفياتي على حالها . ووضع الكاتب المصري احتمالين لتفسير هذا التدفق « أما ان نيكسون وبريجنيف قد اتفقا على أن يكون الاسترخاء العسكري هو الوصول باسرائيل الى القوة العسكرية التي تعجز كل القوى العربية عن مواجهتها ، وتقدر استحالة التحرك العسكري ضدها ، فتسترخي . واما ان نيكسون قد خدع بريجنيف ، وبعد أن اتفق معه على وقف التسلح أسرف في تسليح اسرائيل ، في حين ان بريجنيف ظل محتفظا بكلمته » . وبالرغم من أن احسان عاد وبرأ الاتحاد السوفياتي من تهمة التواطؤ مع نيكسون ، اذ اردف « ومهما تعددت التفسيرات ، فالذي لا شك فيه ان الاتحاد السوفياتي يقف بجانب القضية العربية ، بمبادئه ومصالحه »(٢) . بالرغم من هذا الاستدراك فقد سارعت « المصادر السوفياتية الرسمية » — على حد وصف صحيفة اخبار اليوم لها — سارعت الى الرد على رئيس تحرير الصحيفة المذكورة ، بأنه « لا مجال للحديث عن الاسترخاء العسكري في منطقة الشرق الاوسط ما بقي احتلال اسرائيل للاراضي العربية وما دام لم يتضمن الحقوق الشرعية لعرب فلسطين ، وانه اذا كان السلام هو الموضوع الاساسي لمباحثات بريجنيف ونيكسون القادمة ، فأخطر بؤرة للحرب تهدد السلام في العالم الان هي مشكلة الشرق الاوسط ، وان بريجنيف في هذه المباحثات سيدافع عن مصالح العرب لانها تتفق ومصالح الاتحاد السوفياتي في هذه المنطقة . وان اي انفراج في الوضع الدولي يجعل تصفية ازمة الشرق الأوسط أكثر الحاحا »(٣) .

ومن جهة اخرى حذرت صحيفة الاهرام القاهرية ، في افتتاحيتها يوم السابع عشر من حزيران (يونيو) الماضي ، من أن تكون سياسة الوفاق « سببا في اغفال الازمات المستعصية ، او الكامنة ، عند قاعدة المجتمع الدولي ، او سببا لاتفاقات ، معلنة ، او غير معلنة ، تجرد الاطراف المحلية في أي نزاع من ارادتها المستقلة ، في تقرير مصائرها واختيار سياساتها . والا تعرض عصر الوفاق لمزيد من القلاقل ، واختفى المبرر المعلن لسياسة التعايش في عصر لم يعد يحتمل ان يحتكر فيه عدد محدود من الدول مقررات تطور البشرية كلها » .

واظهرت بعض الدوائر العربية الامر وكأنه تواطؤ ، او ارتباط ، او اتفاق بين العملاقين الامريكي والسوفياتي على حساب الدول الصغرى ، بل ولاقتسام هذه الدول فيما بينهما . وتضع تلك الدوائر — في مقولاتها هذه — النظام الاشتراكي على قدم المساواة مع النظام الاستعماري . وقد عبرت تلك الدوائر عن سخطها لعدم توصل الزعيمين الامريكي والسوفياتي ، نيكسون وبريجنيف ، الى تسوية لازمة الشرق الاوسط . وتخصيصهما أقل من مائة كلمة للشرق الاوسط في بيانهما الاخير الذي حوى نحو أربعة الاف كلمة . (لهواة الدقة ٨٩ كلمة من ٣٧٠٠) .

ونسي هؤلاء — او تناسوا — أن الف باء السياسة تقضي بأن أية تسوية سياسية للمشاكل هي انعكاس لميزان القوى بين الطرفين المتنازعين . وفي أزمة الشرق الاوسط، فان أية تسوية سياسية — في ظل ميزان القوى الحالي — لا بد وان تكون مرادفة للهزيمة . فالتسوية السلمية هنا هي بين طرف مهزوم هزيمة كاملة ، واخر منتصر انتصارا كاملا .

ومن المؤكد ان الاتحاد السوفياتي لا يريد لنا مثل هذه التسوية ، او بشكل أدق هذه التصفية . فهو يرى في الانظمة الوطنية وحركات التحرر الوطني احتياطيا للثورة الاشتراكية ، وذلك بفعل موقف هذه الانظمة والحركات المعادي للاستعمار وبالتالي للرأسمالية !

وهذا محمد حسنين هيكل يؤكد هذا المعنى حين يقول أن الاتحاد السوفياتي لا يريد « أن يرى هزيمة عربية ، لان ذلك من شأنه ان يطيح تماما بما بقي من هيبته في المنطقة . . .